

تحقيقات لغوية لكلمات مغربية

الأستاذ عبد القادر زمامة

(فاس)

الشكازة والشكاز

وفيما يرجع لمن عرف في المغرب بهذا الاسم « السكاج » الحرف عن « الشكاز » نجد المؤرخ القادري يذكر في كتابه « المقصد الاحمر » بعض اصدقائه قائلا :

« صاحبنا الخير المرضي ابا فارس عبد العزيز ابن علي السكاج حفظه الله » (2)

وابو العباس ابن القاضي يترجم في كتابه « درة الحجال » ترجمة قصيرة لمنصور بن علي السكاج الفقيه ...! ولا ندري هل هو من المغرب ... ام من المشرق ... لكنه يحمل هذا الاسم السكاج ...! (3)

ونجد المؤرخين الذين ترجموا لابن البناء العددي المراكشي المتوفى سنة احدى او ثلاثة وعشرين وسبعمائة يذكرون من جملة كتبه في علم التنجيم رسالة العمل بالصفحة (4) الشكازية وهذه الصفحة الشكازية معروفة الى جانب الصفائح الاخرى في علم التنجيم ولاسيما عند المتقدمين من علماء هذا الفن ...!

بعد هذه الجولة حول الاسم نريد ان نعرف المسمى والدلول ...! فتساءل

لي مع هذه المادة اللغوية تاريخ طويل . بدأ يوم عثرت في ابحاثي الحضارية على حرفة كانت مصدر معاش لكثير من الناس في الاندلس والمغرب ...!

فالحرفة كانت تسمى الشكازة ...! ومحترفها يسمى الشكاز ... وكانت هناك حوانيت وفنادق للشكازة والشكازين ...! في المدن الاندلسية . والمدن المغربية ...!

والغريب ان هذه المادة اللغوية كانت معروفة ومستعملة في المغرب . ولاسيما في مدينتي فاس ومكناس الى اواسط القرن الثالث عشر الهجري كما يتجلى ذلك من الوقوف على الحوالات الحبسية ، وبعض الرسوم القديمة . واسماء بعض الاسر التي كانت تحمل اسم « الشكاز » كما تحمل تحريفه « السكاج » ...!!

وهناك الآن في مدينة تونس مجموعة حوانيت (السكاجين) تجاور حوانيت (السراجين) وكلمة (السكاجين) محرفة عن كلمة (الشكازين) كما نص على ذلك محقق فهرسة الرصاع المطبوعة بتونس سنة 1967 م (1)

- (1) انظر فهرسة الرصاع بتحقيق محمد العنابي ص 122 وانظر عثمان الكعاك في كتابه (التقاليد والعادات الشعبية) ص 11 .
- (2) انظر المقصد الاحمر ج 2 ص 234 .
- (3) انظر درة الحجال ج 2 ص 318
- (4) جلوة الاقتباس ص 76 .

— ما هي الشكازة ؟..

— ومن هو الشكاز ؟..

والجواب الشافي لن نجده فى معاجم اللغة ،
القديم منها والحديث ...! ولن نجده فى تكملة
للمستشرق الجماعة البحثة (دوزي) ..!

فابن منظور فى لسان العرب يذكر المادة (5) :

شكره . نخسه بأصبغه .. ويذكر الشكاز بمعنى
مجازي ..! ويذكر « الاشكر » بمعنى ضرب من الادم ..

وينقل عن الازهري انه معرب عن (ادرنج)
الفارسية

والفيروزاباذي يذكر المادة كما ذكرها صاحب
اللسان و « يتوسع » فى ذكر المعاني المجازية لكلمة
شكاز ..! ويذكر فى مادة (ح . م . ر) هذا النص :

« الحمير والحميرة : الاشكر لسير فى
السر »

وكتب شارحه عليه :

« الحمير والحميرة : الاشكر اسم لسير ايض
مقشور ظاهره فى السرج يؤكد به » (6)

ودوزي يذكر الشكاز ولا يشفي غليلا ..! ويذكر
كلمة اشكر فى اللغة البربرية بمعنى الرجل الذى لا
لحية له ..! والشاة المجزوزة الصوف (7)

وحيث ان المعاجم العربية تقول ان كلمة اشكر
معربة عن كلمة « ادرنج » الفارسية فانني رجعت الى
كتاب «المعرب» لابي منصور الجوالقي . فوجدته لم
يذكر كلمة «اشكر» ولم يذكر كلمة «ادرنج» وانما
ذكر كلمة اخرى هي كلمة « ارنسج » وكتب فى
شرحها هذا النص (8) .

« الارندج . واليرندج اصله بالفارسية رنده .
وهو جلد اسود ..! وانشد الاعشى :

(4) جذوة الاقتباس ص 76

(5) انظر مادة شكر فى لسان العرب

(6) انظر مادتي شكر وحمير . فى القاموس المحيط وتاج العروس .

(7) معجم دوزي ج 1 ص 778 .

(8) (المعرب لابي منصور الجوالقي ص 16 تحقيق احمد شاكر

(9) انظر رسالة روح القدس . ط . دمشق سنة 1964 م ص 62

عليه ديابوذ تسربل تحته

ارندج اشكاف يخالط عظمها

وقال ابن دريد هي الجلود التى تدبغ بالعفص
حتى تسود ..!

وانشد العجاج :

كانه مسرول ارندجا «

وصاحب معجم «متن اللغة» يذكر فى المادة نفس
ما عند صاحب (اللسان) وما عند صاحب (القاموس)

والجواب الشافي لشرح كلمة الشكاز وبيان
مدلولها الذى كان لها فى الاندلس ..! ومن الاندلس
نقل الى المغرب ولا مانع من ان يكون الواقع عكس
ذلك ...!! نجده عند امام اهل التصوف الشيخ
محيي الدين بن عربي الحاتمي دفين دمشق سنة
638 هـ فى كتابه المسمى « رسالة روح القدس فى
محاسبة النفس » حيث يترجم لشيخه ابي علي حسن
الشكاز الاشبيلي . ويشرح الكلمة هكذا :

« والشكاز عندنا المشتغل بهذه الجلود الرقاق
على نوع ما يبيضها . ويلينها كثيرا بعد شدتها .
فاتخذ اهل البلدة هذه اللفظة لفظة الشكاز لقبا للرجل
لا يقوم بالنساء!!! »

ثم ذكر الامام محيي الدين بن عربي بعد هذا
التفسير نادرة لشيخه الشكاز المذكور زادت هذا
التفسير ايضا وتبيننا .. (9) .

واللقب الذى ذكره ابن عربي فى آخر النص،
معنى من المعاني المجازية للكلمة ..! نص عليه اصحاب
المعاجم النفوية ..! واطنبوا مع اهمال واضح ..!
للمعنى الحقيقي او الاصطلاحي بأدق عبارة .. ومن
اجل ذلك تعبنا كثيرا فى البحث عن المدلول الحقيقي
للكلمة ..! ولولا نص ابن عربي الذى كتب فى القرن
السابع الهجري لبقينا نسبح فى فضاء من
الحدسيات ...!!

والمستغرب ان اللقب الذى اشار اليه ابن عربي وذكر انه كان معروفا عندهم فى اشيلية ..! وذكرته المعاجم العربية ..! نجده مستعملا فى نفس الدلالة او ما يقرب منها فى القرن الرابع الهجري ..! فى الشرق وفى مدينة بغداد بالخصوص ..!

وذكر ان القصة الشهيرة المسماة : حكاية ابي القاسم البغدادى . التى كتبها محمد بن احمد الازدي وعاش فى القرن الرابع الهجري .. نجد فيها كلمة « شكار » فى سلك الاوصاف التى وصف بها المؤلف بطل قصته ابا القاسم البغدادى وقال عنه انه كان :

« شكارا طنازا همازا غمازا همزة لمزة » (10)

فالكاتب استعمل فى القرن الرابع كلمة « شكار » فى معنى التهمك والسخرية والتعيير ..! ولا شك انه يقصد المعنى المجازى الذى اشارت اليه المعاجم العربية بل وأطنبت فيه ..! او قريبا منه حسب العرف والاصطلاح السائد ..

بعد هذا العرض عن الاسم والمسمى لكلمتي الشكاراة والشكار نستطيع ان نعرف مدلولهما عند المغاربة والاندرلسيين ...!

فالشكار كان واسطة بين الدباغ الذى يدبغ الجلود ..! وبين الصناع الذين يستعملون انجلد فى اعداد الاحذية ..! او السروج ..! او الادوات الجلدية الاخرى ...!

فهؤلاء الصناع لا يتناولون الجلد الا بعد ان يكون الشكار قد عمل فيه عمله بالتليين والصقل وازالة الزوائد ... وهذه الحرفة ما زالت قائمة . الا ان اسم الشكار صار نسيا منسيا ..!

وكانت حوانيت الشكارين كثيرة بفاس حول مسجد القرويين .. وحول الضريح الادريسي .. كما يتجلى ذلك عند مراجعة الحوالات الحبسية المتعددة ...

اما الفندق الكبير الذى كان مشهورا بهذه الحرفة .. ويشتهل به عدد كبير من الشكارين فهو

الفندق الهدوم الان الموجود بسوق السيطريين .. والذى كان وما زال يعرف باسم فندق الجلد ..! او فندق السيطريين ..!

والدليل على ذلك اننا نجده فى الحوالة الحبسية لمسجد القرويين ، مسمى كهذا (فندق الشكارين) .. وتزيد الحوالة فى وصفه .. انه متصل من داخله بفندق الشماعين .. والحوالة التى بها هذا النص كتبت اوائل القرن الثالث عشر الهجري ! (11)

وماتت كلمة الشكاراة .. وكلمة الشكار .. ولم يبق لها رسم ولا طلل ..! الى درجة انني عند اعداد قائمة النشرة الاولى من اسماء الحرف المعروفة بفاس حذف اسم الحرفة واسم محترفيها لسببين :

الاول : انه لا ذكر لهما الان ...

الثاني : انني لم اكن على علم بمدلولهما الحقيقي حيث انني كنت اعرف الاسم دون المسمى ..!

مقرة والنسبة اليها

اشتهر على السنة الباحثين وفى اقلامهم ثلاثة اعلام تاريخية شرق ذكرهم وغرب . واعجم واعرب ..! وهم :

(1) ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد المقرئ قاضي فاس على عهد ابي عنان المتوفى سنة 759 هـ

(2) ابو عثمان المقرئ مفتي تلمسان وعالمها المتوفى سنة 1010 هـ

(3) ابو العباس احمد المقرئ مؤلف نفح الطيب المتوفى بالقاهرة سنة 1041 هـ

وكلهم من الاسرة المنتسبة الى مدينة مقرة التى ذكرها الرحالة ابن حوقل (12) وابو عبيد البكري (13) والجغرافى الادريسي . ثم ياقوت الحموي الذى افادنا بنصه فائدة كبرى حيث انه نص على ضبطها قائلا (14) :

(10). انظر حكاية ابي القاسم البغدادى ط . كول ونتر . فى هيدلبرج 1902 م ص 3

(11) انظر الحوالة الحبسية السليمانية ص 94

(12) كتاب صورة الارض لابن حوقل . ص 67 . ط . بيروت

(13) كتاب المغرب ص 51 وص 144

(14) معجم البلدان ج 5 ص 175 . ط . بيروت

وجاء ابو العباس المقرئ المتوفى سنة 1041 هـ
فوجد الخلاف قد نضج بين العلماء فى ضبط كلمة
المقرئ ...

وعوض ان يرجع الى الاصول القديمة «ولاسيما
نص ياقوت» وهو الحافظ المطلع المتبحر ...
ويناقش المستند الذى اعتمد عليه المتأخرون فى
ضبط كلمة «المقرئ» بفتح الميم وتشديد القاف...!
بعد ان كان المتقدمون يسكنون القاف...! جارى الواقع
الذى وجده...! ان لم نقل أيدته ودعمه . وقال فى
كتابه نفح الطيب : « هما لفتان ! » (21)

ثم صارت المسألة عند الذين كتبوا فى هذا
الموضوع من اهل المغرب والمشرق - وما اكثرهم -
مجرد نقل لهاتين « اللغتين ! »

بل وقع ما هو طريف .. وهو اننا صرنا نجد
من يحاول التفرقة بين المقرئ الجدد .. والمقرئ
الحفید ... فيسمى الاول مقرئاً .. بالتسكين ..
ويسمى الثانى مقرئاً .. بالتشديد ...!

والحالة هذه وهما معا من اسرة واحدة تنتسب
الى مدينة واحدة وهي مقرة ...!

واذا ضربنا صفحا عن هذا كله ورجعنا الى
الواقع الذى يعرفه سكان هذه الناحية قديما وحديثا
نجد ان (مقرة) بالقاف المعقودة هو الاسم الحقيقى
لهذه المدينة ...

فاذا ثبت هذا فان النسبة الى مقرة تكون قد
تدرجت هكذا :

قيل اولاً المقرئ بالقاف المعقودة .. ثم تحولت
الى (المقرئ) بالقاف المعهودة .. ثم اراد لها قوم
(بدون دليل) ان تكون المقرئ بالقاف المعهودة
المشددة...! ثم جاء ابو العباس المقرئ ليقول لنا انهما
لفتان...!!

ثم يردد المتأخرون هذه الاصداء ...!

« مقرة بالفتح ثم السكون ، وتخفيف الراء ...!
كأنه ان كان عربيا . من الاستنقاع . تقول مقرت
السكة فى الماء والملح مقرا اذا انتعشتا فيه ...!
ومقرة مدينة بالمغرب بينها وبين طبة ثمانية فراسخ .
كان بها مساحة للسلطان ضابطة للطريق ينسب اليها
عبد الله محمد بن الحسن المقرئ . ذكره السلفى فى
تعاليقه (15) .. »

فياقوت الحموي المتوفى سنة 626 هـ حينما
نص على ضبطه كلمة (مقرة) يكون اقدم نص « فيما
نعلم » اهتم بهذا الضبط وبقي محفوظا ومعروفا الى
الآن ...!

ويلي هذا النص فى الاهمية ، ان ابن خلدون
المتوفى سنة 808 هـ وهو ممن اتصل بابي عبد الله
المقرئ قاضي فاس واخذ عنه وصاحبه . وعرف مدينة
مقرة ، وذكرها فى تاريخه مرارا .. (16) . ضبط
بقلمه كلمة (المقرئ) بفتح الميم وسكون القاف ، وكسر
الراء .. كما هو مثبت فى النسخة الخطية التى طبعت
عابها النسخة المحققة بقلم الاستاذ محمد بن تاويت
الطنجي .. (17) من كتاب :

« التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا »

وهناك نصوص اخرى نجدها عند ابي الوليد
ابن الاحمر المتوفى سنة 808 هـ او سنة 810 هـ
تقلها عنه السودانى فى نيل الابتهاج (18)

وعند ابن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842 هـ
الذى الف (النورالبدري فى التعريف بالفقيه المقرئ...)
(19) تؤيد هذا الضبط الذى نص عليه ياقوت .

بعد هذا صرنا نسمع نغمة اخرى .. وضبطا
آخر .. وذلك ان السودانى فى نيل الابتهاج نقل
عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي المتوفى سنة 875 هـ
وعن ابي العباس الونشريشى المتوفى سنة 914 هـ
انهما ضبطاها بفتح الميم وتشديد القاف
المفتوحة (20) ...!!!

(15) مذكور فى صلة الصلة لابن الزبير ص 5 . ط . الرباط 1937

(16) انظر الجزء السابع من طبعة بيروت . ص 324 . و ص 326 .

(17) انظر ذلك فى ص 450

(18) ص 249 .

(19) البستان ص 164 . ط . الجزائر 1908 .

(20) نيل الابتهاج ص 249

(21) انظر ج 5 ص 205 . ط . بيروت 1968 م

الحوالة

الحوالة فى المعاجم اللغوية اسم من الاحالة بمعنى ان الغريم يحيل دائته ويصرفه ليقبض دينه من شخص آخر .. فالمصدر الاحالة .. والاسم الحوالة .. والاصطلاح الفقهي مبني على هذا المعنى النفوي ..

اما الحوالة فى العرف المغربي فانه تعني نقل ما فى صكوك الاملاك الشخصية والعائلية من شهادات وحجج تثبت ما فيها من اوقاف على المساجد او المدارس او غيرها من مشاريع البر والاحسان .. الى سجل خاص يحتفظ به نظار الاحباس المتعاقبون على النظارة .

فالناظر مكلف بالسهر على اخذ نسخة او نسخ من كل تحبب ويحتفظ بها لتكون حجة له او لغيره من النظار الذين يخلفونه فى استحقاق ما هو من الاحباس فى الوقت المناسب ..!

وتطلق الآن الحوالة ويراد بها ذلك السجل الكبير الذى يحتوي على ما يتصرف فيه الحبس من اصول وعقارات فى الحاضرة والبادية ..!

ولهذه الحوالة اهمية بالغة فى الاحتفاظ بكثير من الاعلام والمعالم والخطط والعادات والاصطلاحات والكلمات الحضارية .. !

وقد كان الاقدمون يسمون الحوالة باسم آخر وهو : زمام تكسير الاحباس ..!

ولا نستطيع - مع الاسف - ان نحدد الزمان الذى استعملت فيه كلمة - الحوالة - بدلا من « زمام تكسير الاحباس » .. لان المصادر تعوزنا ..

الوادي

الوادي فى المعاجم اللغوية : المنفرج بين الجبال والتلال والاكام .. وله معان مجازية معروفة ..!

الا ان اهل الاندلس والمغرب اشتهر وذاع عنهم قديما وحديثا انهم يسمون النهر الجاري باسم الوادي ..! ومن اجل ذلك لا نتخرج هنا فى المغرب من ان نقول ونكتب :

— وادي ام الربيع
او نهر الربيع

— وادي سبو
او نهر سبو

— وادي ابي رقرق
او نهر ابي رقرق

— واودية المغرب
او انهار المغرب

الا ان البحث ادانى الى ان هذا ليس شيئا خاصا بالاندلس والمغرب ..! فان الحافظ المؤرخ الثقة ابا نعيم الاصبهاني المتوفى سنة 430 مؤلف (الحلية) وغيرها من المؤلفات المفيدة .. ذكر فى كتابه « اخبار اصبهان » الوادي بمعنى النهر .. والاودية بمعنى الانهار ...! (22)

ولا ندرى كيف ومتى انتقل هذا الاصطلاح من هناك الى هنا او من هنا الى هناك !!

(22) انظر اخبار اصبهان ج 1 ص 30 مطبعة بريل 1931 م